قيد الحياة فكانت هذه الورقة تذكاراً ثميناً ومحزناً وانى على قيد الحياة الآن كسيح بدون فائدة لجزء من هذا التذكار لأمثل هؤلاء الذين لم تزل اسماؤهم العظيمة بورقة التذكار وجثثهم مترهكة فى فلوات منشوريا أما أرواحهم الشريفة ففى معبد كودان

وبعد ظهر يوم ٢٤ بينما كنا مارين بالقرب من جزر (اليوت) اذ لمحنا خطوطا كثيرة من الدخان موازية للماء وكانت هذه سفن دولتنا المختلطة تحيي اقتراب بواخرنا فما أجل منظر دولتنا ماخرة فى عرض الاقيانوس ... وقد حضرت مدرعة منها وأخذت تسير بجانبنا وهى على ما أظن كانت حاملة بعض الاوامر بخصوصنا

فكان محل نزولنا يقترب حينئذ وبعد قليل سنظهر على المرسح الحقيقى ولكن ما كان يعلم لذاك الحين موضع نزولنا أو طريق اتجاهنا

والكل كانت رغبتهم واحدة وهى التوجه الى بورث أرثور

الفصل الخامس

خطر النزول الى البر

أين محل نزولنا ؟ هذا هو السؤال الوحيد الذى كان يشغل أفكارنا من ابتداء السفر الى منتهاه وكانت احدى تخميناتنا أن ننزل فى (تاكوشان) ونهاجم (هايشنج) و(لياوينج) فى الشمال وأخرى أن نتوجه توا الى خليج (بتشيلى) وتنزل الى (ينجكو) ومن تخميناتنا أيضا أن ننزل فى احدى نقط

شاطئ (لياوتنج) وبعدها نسير الى الجنوب لمهاجمة استحكامات بورت ارثور وكانت هذه التحصينات تختلف بالطبع على حسب الاتجاه الذى تتخذه بواخرنا ولكن أخيراً عندما رأينا على الخريطة اننا متجهون نحو جنوب جزر (اليوت) جزمنا فى الحال اننا متوجهون الى محل يوصل الى بورت ارثور فما كان حينئذ أعظم حماسنا وسرورنا عندما شاهدنا بواخر الحملة التى كنا عليها والبواخر الحربية التى تحرسها جميعها متجهة نحو ذاك الموضع ثم أننا ابتدأنا نرى بعد زمن قطعة أرض ضيقه وطويلة ذات لون رمادى مائل الى السواد ظاهرة قليلا فى وسط الضباب السميك

وكانت هذه شبه جزيرة (لياوتنج) هذا الموضع الذى يلم عظام أبناء (ياماتو) البواسل من عشر سنوات وهو أيضا الميدان الذى ننتظر أننا سنترك عظامنا فيه ولقد كانت السماء سوداء فى المساء الماضى والضباب الرمادى والغيوم كانت تنجلى وتنقشع من وقت الى آخر والهواء يصفر فى أعلى السوارى والامواج تلاطم جوانب سفننا متطايرة كقطع الثلج ومنتشرة كالزهر المتناثر وكان خلفنا فضاء غير محدود خلفه سماء نيبون (اليابان) فهتاف (بانزاى) الحماسى الصادر من الامة المسرورة وصوت السبح المفروكة بين أيدى النساء العجائز والاناشيد الحربية الخارجة من أفواه الصبيان سليمى القلب كلها كانت كأنها لم تزل ترن فى آذاننا محمولة على الريح السريع وكان التصميم أننا ننزل فى خليج يسمى (بنتاؤو) فى الشاطئ الشرقى لشبه الجزيرة وفى جنوب غربى (بيتسوؤو) وهو مدخل صغير على بحر الصين لعدم وجود مينا جيدة غيرها بقرب (تالين) فى جانب شبه جزيرة

(لياوتنج) الايسر لان مينا (تالين) كانت فى قبضة العدو ولذا كنا نخاطر بكل شىء بنزولنا فى ذلك المكان الغير مهم وتتشذ الضروريات الحربية أما البحر والتيار بهذه النقطة فكانا شديدين اذ أن أقل نوء لم يجعل النزول فقط هناك صعبا جدا بل المرسى ايضا وزيادة على ذلك فالماء قرب الميناء كان قليلا فمن الضرورى أن أى مركب فى أى حجم ترسو على بعد ميلين ونصف تقريبا من الشاطىء أما اذا كانت الريح عاصفة فمن المحتم أن المركب تقف على بعد أميال كثيرة من المدخل وبما ان الحالة كانت كذلك كنا نتصور صعوبة مسئولية وخوف الاشخاص المنوطين بانزالنا فانهم كانوا كامهات عصافير تلاحظ صغارها فكانوا يخفرونا على البعد والقرب لحمايتنا عند النزول حتى لا يداهمنا العدو ولكن الريح أصبحت هائجة والبحر مغضبا والامواج متلاطمة وكانت تعلو كالجبال فكانت البواخر الثقالة والفلايك تهتز كاوراق الاشجار وسوارى المراكب الشراعية الصينية التى أجرتها حكومتنا تشبه غابة متحركة الى كل جانب كدونمة المنغوليين التى حضرت الى خليج ها كاتا (وهى دونمة أحد الملوك الصينيين المنغوليين الذين أغاروا على اليابان بتلك الدونمة ولكنهم ردوا على أعقابهم)

وكنا نفكر فى النزول الى البر سالمين فى أحوال كهذه وهل نقابل العدو عند نزولنا مباشرة ؟ فكنا كالمعصوب على اعينهم لا ندرى أى شىء نعثر فيه ولا يعلم ذلك الا أمير الايتا الذى كانت أرواحنا بيده ولكننا كنا نعلم ان شيئين أمامنا هما النزول الى البر والسير — وبعد ما انتظرنا قليلا ابتدأنا فى النزول رغما عن كل خطر اذ الظاهر كان ان حالة الحرب لا تستدعى التأخير

« قد كانت احاطت ببواخرنا الفلايك والمراكب الصغيرة الشراعية والرفاسات وكنا لا نعلم من أين حضرت وكلها كانت لحمل الضباط والجنود الى البر والامواج الهائلة كانت تعلو كالجبال الشامخة وتهبط كالوديان العميقة كانها تبتلع الرجال والمراكب معا وبعد ذلك حملت العلم بالوقار اللازم ونزلت في مركب مع الميرالاى وكان عدد عظيم من المراكب تربط فى الرفاسات كحبوب السبحة وكانت هذه السبح المركبية تتدحرج وهى تعلو وتهبط متجهة نحو الشاطئ أما علم ألاينا فانه كان يقاوم الريح والامواج حتى وصل البر سالما ولقد شعرنا بعد أول خطوة فى هذه الارض التى يحتلها العدو كأنا كنا تركنا أرض آبائنا أمس فقط أما الآن فذلك لم يكن حلما بل يقظة

فما كان أعظم سرورنا عندما وضعنا مرة أخرى علم جلالة أمبراطورنا الصالح الشهير على شبه جزيرة لياوتنج وهى أيضا أرض اليابان التى تقدست بدماء أخواننا

أما النوء فكان يزداد والظاهر أنه كان من المستحيل اتمام انزال القوة كما كان غير ممكن رجوع الجنود ثانية الى البواخر والشىء الوحيد الممكن كان الاستسلام الى رحمة الرياح والامواج بأن نقذف بأنفسنا الى الماء ونجاهد للوصول الى الشاطئ عندما تقرب المركب منه وما حصل لصاحبى اليوزباشى (تسوكودو) كان مثالا للصعوبات الشديدة التى لاقيناها عند النزول

فاليوزباشى (تسوكودو) ومعه نحو الستين جنديا تحت أمره كان فى مركب مجرورة برفاس فبعد مبارحتهم باخرة الحملة كانت هذه المراكب تتدحرج

بهم فى الامواج ككرة وكانوا فى خطر دائم بأن يبلعهم البحر فالرفاس القاطر حل المركب المجروزة وطلب النجاة فاذا كان هواء (التيفون) الهائل يسير عشرة آلاف ميل بدون وقوف يقال أن أجنحته تكسرت من أمواج البحر فكيف يكون حال مركب صغيرة أمام أمواج هائجة كهذه؟ وكان يظهر فى ذلك الوقت ان أشجع الرجال ليس لهم اختيار سوى أن يدعوا فى بطون الاسماك اما الاسعاف فكان مستحيلا وعليه كان الامر السماوى علينا ان يطيعوا وقد كانوا مستعدين للموت ولكن من الاسف ان الموت الذى هم صائرون اليه بلا جدوى لانهم يموتون فى قاع البحر لا فى ساحة القتال وخصوصا وهم على مقربة من العدو بدون أن يضربوه ولو ضربة ولذا حاول اليوزباشى وعيونه محمرة من الغضب أن يسعف رجاله ولكن الاسف كانوا كرجل وقع فى بئر قديم موجود فى حرش منفرد وكان غير غريق ولكنه غير قادر على أن يتسلق الى الاعلى وجذر الشجرة الذى يتعلق به كحبل للنجاة كان قد قرضه فأر حلوى

أما اليوزباشى (تسوكودو) فانه قفز الى البحر وعام نحو البر بكل قواه ولكن الامواج كانت لا ترق له لتسمح لرغبته الشريفة بان ينجى رجاله فقد ابتلعته ثم قذفته ودحرجته والقته بدون رحمة فاليوزباشى البائس تعب أخيرا وأغمى عليه قبل أن يصل الى الشاطىء ولما رجع الى رشده وجد نفسه على البر عاريا بالمرة فبدون أن ينتظر أى ملبس هرول الى مكتب رياسة القوات النازلة للبر وطلب هناك المساعدة للرجال الذين تركهم فى المركب بحركات تهيج من الغيظ غير ممكنه البكاء اذ الدموع جفت فى أعينه ولا ان يتكلم اذ قد جف

فه ولكنه نجح فى انقاذ رجاله وقد انقلبت مركب أخرى حاملة مؤونة وذخائر وخيولا فوثب حصان منها سابحا ورافقه الجندى الخادم له فغرق الحصان قبل الوصول الى البر وغرق بعده بقليل خادمه صاحب لروح الباسلة الذى كان حبه الى صاحبه ذى الاربع ارجل أعظم من حب البجعة التى تصرخ خلف صغارها فى الليل وحيدة ولو انه لم يمت برصاص العدو الا انه مات متقدما فى ميدان القتال

هل كانت أرض كنعان الموعودة هى التى نزلنا فيها ؟ لا فهى بعكس ما كنا ننتظر ـ فان منظرها لا يرى منه أنها تلك الارض التى اشتراها اخواننا بدمائهم من عشر سنوات مضت بل رأيناها فضاء مخيفا ومتسعا رمليا خربا وأرضا شاسعة غير محدودة كقماش مفروش عليه احمر قان واسود رمادى فاذا قارناها باليابان المختلفة المناظر والاشكال التى تعودنا عليها نجد ان الطبيعة لم تمتن بها تمام الاعتناء ثم يختلف هذا المنظر برؤية المئات من الاهالى الذين حضروا الى موضع نزولنا ومعهم خيول وعربات لحمل أمتعتنا وكانوا يهمسون فى آذان بعضهم ووجوههم عابسة ومع ذلك فأنهم لا يستحقون شيئا سوى عطفنا وحنونا لكونهم رعية أمبراطورية ذات حكومة رديئة فهم يستحقون بكل تأكيد كل رحمة وكانوا يخشون أولا اليابانيين ناظرين الينا من بعد غير مقتربين منا وذلك لانه من المحتمل ان الروسيين كانوا ينهبون أملاكهم ويسبون نساءهم وبناتهم اما الجيش اليابانى فكان من الاول ملاطفا ومشجعا لهم على أن يستمروا فى أشغالهم اليومية فى سلام وبعد قليل ابتدؤا يصاحبوننا ويرحبون بنا بكل اشتياق وعلى كل حال فأنهم

نوع من البشر الذين يخاطرون حتى بحياتهم للحصول على النقود وهم يسكنون فى زرابى الخنازير وفى جيوبهم العشرة آلاف قطعة من الذهب ولذا تألم جيشنا كثيراً من خيانة هؤلاء عباد الدرهم وسأذكر ذلك فيما بعد وكنا نسمع صوت أتا ! اتا ـ دو ! دو ! الغريب دائما فى الميدان وهى طريقة الاهالى لسوق الخيول والبقر وحذفهم فى سوق هذه الانعام والخيول كان أعظم من حذفنا فكنا نستغرب من كيفية اتباع هذه الحيوانات أوامرهم فتراها تتجه نحو اليمين ونحو اليسار بصوت هذه الاشارات وكانوا يتحركون كأعضاء الانسان بدون استعمال أى آلة ضرب فالعلاقة بين هؤلاء الاهالى وانعامهم وخيولهم كالتى بين الجنود المنظمة جيداً ورؤسائهم اذ هم يحترمون باختيار وخضوع أوامر رؤسائهم بدون خوف من ضرب او توبيخ وهو السر فى الضبط والربط العسكرى وأيضا النجاح فى الحقيقة أما الجنود الروسية فكانت ناقصة فى هذه العوامل المهمة كما أوضحته فيما بعد اقوال الأسرى

ولقد نزلت بعض بلوكات فرقتنا الى البر بكل مشقة وازداد النوء وعليه صار ايقاف التنزيل ولقد اخترقنا انا والاميرالاى والاركان حرب والمترجم والكاهن هذا الفضاء مصحوبين ببعض الحرس متجهين نحو (وَانْجِشْيَاتَن) التى أمرنا بالبقاء بها تلك الليلة وكنا مشتغلين بالخريطة والبوصلة بينما كان مترجمنا يسأل الاهالى سؤالا بعد الآخر وانى سألتهم بكلام متقطع عن الجنود الروسية ومحل وجودهم مستعينا بكتاب مخاطبة صينى يابانى فاجابونى انهم فروا الى بورت ارثور وحينئذ خاب ظننا اذ كنا نود مقابلة هذا العدو المنتظر

فى الحال وبعد مسير ١٨ ميلا تقريبا فى سهل رملى وصلنا قرية (وَانجنيَاتن) المكسوة بشجر الصفصاف فى مساء ممطر كثير الارياح بينما كنا نرى طيوراً غريبة المنظر راجعة الى أوكارها وكان رجال ذوو منظر ابله وأولاد وسخة الوجه تجتمع حولنا كالنمل وينظرون الينا باستغراب والرجال الاكبر سنا كانت تدخن فى شبكات طويلة والظاهر أنهم كانوا غير مكترثين أو جاهلين هذا الضيق الذى ببلادهم أما الاقذار والاوساخ الموجودة فى المنازل وعلى سكانها فلا يمكن وصفها اذ نحن الآن حديثا الى المكان أجبرنا على سد أنوفنا من الروائح الكريهة المنبعثة أما المعسكر فكان سميا فقط اذ أننا وجدنا ملجأ تحت سقوف المنازل وكانت هناك الروائح الكريهة تهاجمنا من كل جهة وخصوصا روائح الثوم المنبعثة من الرجال والصغار الذين كانوا يحيطون بنا وكانت معدتنا الفارغة مستعدة أولا لأن ترحب بأرزنا المحمص ولكن أعصابنا المنهجة من تلك الروائح رفضت كل غذاء ولقد مضينا نحن الذين نجحنا بالنزول أولا أول ليلة في (لياوتنج) في هذه الحالة

ومن المحقق ان ارواح اخواننا المتوفين من عشر سنوات مضت رحبت بنا بأذرع مفتوحة طالبة الاخذ بالثار ومنتظرة منا كل عمل باهر وكانت الجنود تنام سليمة القلب تحت الخيام معرضين الى البرد والرطوبة على حشيش الذرة متبسمين فما كانت احلامهم يا ترى ؟ فالبعض مضى الليل قاعدا بالقرب من حشيش الذرة غارقين فى افكار عميقة وهم يأكلون ما بقى من هدايا رحيلهم وصناديق أكلهم (هى صناديق يوضع فيها الارز الذى يأكله اليابانيون بدل الخبز) على حائط من الطوب وعند ما يبتدأ فجر

الصباح ارعدت السماء وابرقت فجأة فى هذه الارض الغريبة ولكن لم تكن حقيقية بل كان البرق لهيب نيران المقذوفات والرعود أصوات قصف المدافع وكانت لرياح الهائجة تزيد وحشة الحالة ، كان لون السماء في ذاك الوقت دمويا

وكانت هذه واقعة (نانشان) الكبيرة وكان لا يمكننا أن نسكن من شدة الانشراح وهياج ونحمس أنفسنا

الفصل السادس

اهمية بورت ارثور

هذا هو يوم ٢ يناير سنة ٣٨ من (الميجى) وهو تاريخ لاينسى مدى الدهر اذ كان رأس السنة الجديدة السعيدة وتاريخا لميلاد أحد احفاد جلالة الميكادو وسقوط بورت ارثور فهى بلا شك أسعد وأشهر سنة فى تاريخنا وسقوط بورت ارثور كان حادثة جعلت عصراً جديداً فى تاريخ العالم واننا لا ننسى أنا لم نحصل على هذه النتيجة الا بسفك نهور من الدم ولقد كان يفتخر (كوروپا تكن) قائد الجيش الروسى بقوة هذا الاستحكام المنيع قائلا أنه يمكنه أن يقاوم أشد مهاجمات يتصورها الفكر لمدة سنة ولكن قذف رصاص وقنابل الجيش الهاجم اليابانى بدون انقطاع ولا طل على ذلك الحصن أجبر الروسيين على أن يسلموه في اقل من مائتين وخمسين يوما أما جيشنا جنودنا من ابتداء المهاجمة الاولى فى (نانشان) لغاية تسليم (استيسل وهو قائد قوة بورت ارثور الروسية المدافعة) فصارت تلولا ودماؤهم نهيرات